



## لقاء بعد الموت

"الرجاء عدم الاقتراب من الماء. دعونا نملأ الدلاء ونغتسل بدلاً من السباحة."

بهذه الكلمات خاطبت تلاميذ مدرسة رانشي الذين رافقوني في رحلة على الأقدام لمسافة ثمانية أميال إلى تل قريب. وكان الغدير المنبسط أمامنا يبدو مغريباً لكنني شعرت بالنفور نحوه. وقد شرع معظم الصبية بغمس دلائهم، غير أن نفرأ منهم استسلم لإغراء الماء البارد. ولكن ما أن غاصوا حتى التفت حولهم ثعابين مائية ضخمة، فغادروا الغدير بطرشة وصراخ وسرعة فائقة مثيرة للضحك.

وبعد بلوغنا جهننا المقصودة استمتعتنا بغداننا، وجلست تحت شجرة وقد أحاط بي مجموعة من الطلبة. وإذ رأوني في حالة نفسية ملهمة أمطروني بالعديد من الأسئلة.

وسألني أحد الفتیان: "بالله يا سيدي أن تخبرني إن كنت سألازمك دوماً على طريق النسك."

فأجبته: "كلا. بل سيتم إرجاعك قسراً إلى بيتك، ومن بعدها ستتزوج."

لم يصدق الشاب، بل احتج قائلاً: "لن يتم أخذي إلى بيتي إلا جثة هامة."

لكن بعد بضعة شهور حضر والداه ليأخذاه بالرغم من مقاومته الدامعة، وقد تزوج فعلاً بعد بضع سنوات.

وبعد أن أجت على عدة أسئلة خاطبني صبي في الثانية عشرة يدعى كاشي، وقد كان متوقد الذكاء ومحبوياً من الجميع، قال: "وما هو المقدر لي يا سيدي؟"

فأجبتة: "ستموت عن قريب." وقد خرج الجواب من شفتي بقوة لا  
تُقاوم. وصعقتي هذا الإعلان الباطني المباغت وأحزنتني مع  
الآخرين. وعنفت نفسي بصمت كما لو كنت طفلاً يجرح الآخرين  
بتعليقاته الصريحة، ثم رفضت الإجابة عن أسئلة أخرى.

ولدى عودتنا إلى المدرسة أتى كاشي إلى حجرتي وقال وهو ينتحب:  
"إذا مت فهل تعدني بأن تبحث عني حينما أولد من جديد وتعيدني إلى  
الطريق الروحي؟"

شعرت أن من واجبي رفض هذه المسؤولية الباطنية، لكن كاشي -  
وعلى مدى أسابيع بعد ذلك - أصرّ عليّ بالحاح، وإذ رأيته واهن  
العزيمة لدرجة الانهيار واسيته بقولي:

"نعم، إن مد الله لي يد المعونة فأعدك بمحاولة العثور عليك."

وقمت برحلة قصيرة خلال العطلة الصيفية. وإذ تأسفت لعدم تمكني  
من اصطحاب كاشي معي فقد استدعيته إلى غرفتي قبل الرحيل  
ونصحته بالبقاء في الجو الروحي للمدرسة ومقاومة كل محاولات  
الإقناع بالمغادرة. وقد شعرت بكيفية ما أنه إن لم يعد إلى منزله فقد  
يسلم من النكبة الوشيكة الحدوث.

لكن ما أن غادرت حتى أتى والد كاشي إلى رانشي وحاول على مدى  
خمسة عشر يوماً كسر إرادة ابنه، موضحاً له أنه إن هو عاد معه  
إلى كلكتا لأربعة أيام فقط لرؤية أمه فبإمكانه العودة إلى المدرسة بعد  
ذلك. لكن كاشي رفض بعناد. أخيراً هدد الأب بأنه سينتزع الصبي  
بالقوة بمساعدة رجال الشرطة. وقد ألم وأزعج هذا الوعيد كاشي  
الذي لم يكن يرغب في التسبب بالصاق سمعة غير مرغوب فيها  
بالمدرسة، فلم يكن أمامه من خيار آخر سوى الذهاب.

عدت إلى رانشي بعد أيام قليلة. وما أن سمعت كيف تم انتزاع كاشي  
حتى توجهت عل الفور إلى كلكتا حيث استأجرت عربة ركوب. وإذ  
قطعت العربة جسر هاورا فوق الغانج شاهدت وللغرابية والد كاشي  
وعدداً من أقربائه في ثياب الحداد. فصحت بالحوذي كي يتوقف  
وانطلقت نحو الأب العائر الحظ وقد صرخت في وجهه دون روية  
"أيها القاتل، لقد قتلت ابني!"

وأدرك الأب إذ ذلك الخطأ الذي ارتكبه بإحضار كاشي بالقوة إلى كلكتا.  
إذ إبان الأيام القليلة التي أمضاها الصبي هناك تناول طعاماً ملوثاً  
فأصيب بالكوليرا وقضى نحبه جرّاء ذلك."

وكان حبي لكاشي والعهد الذي قطعه له بالبحث عنه بعد موته  
يلزاماني ليل نهار. فحيثما ذهبت كان وجهه يتراءى لي، وقد  
شرعت في بحث مشهود لا يُنسى، تماماً مثلما بحثت في الماضي  
البعيد عن أمي الفقيدة!

وشعرت بأنه ما دام الله قد وهبني العقل فينبغي لي الانتفاع منه  
واستخدام كل ما أملكه من قوى لاكتشاف القوانين الخفية التي تمكنني  
من معرفة المكان الأثيري للصبى. لقد كان روحاً يجوب أرجاء الأثير  
برغبات لم تتحقق: كتلة من النور تسبح في مكان ما بين ملايين  
النفوس المضيئة في الأقطار الكوكبية. ولكن كيف السبيل إلى التناغم  
معه وحده دون سواه من الأضواء العديدة المهتزة للأرواح الأخرى؟  
واستخدمت إحدى طرق اليوغا السرية وأذعت حبي لروح كاشي عن  
طريق ميكروفون العين الروحية: النقطة الداخلية في الجبهة ما بين  
الحاجبين. وأدركت بالبصيرة أن كاشي سيعود إلى الأرض سريعاً  
وأني إن واصلت البث له دون انقطاع فلا بد أن تستجيب روحه  
لندائي. وتيقنت أن أدق رسالة فكرية يرسلها كاشي ستتحسسها  
أعصاب أصابعي وذراعي وعمودي الفقري. وإذا استخدمت يديّ  
المرفوعتين كهوائي فغالباً ما استدرت بحركة دائرية متكررة، محاولاً  
اكتشاف المكان الذي في اعتقادي تجسد فيه فعلا كجنين في الرحم.  
وكنت أأمل في الحصول على استجابة منه عن طريق "راديو" قلبي  
المنضبط بالتركيز العقلي الدقيق.

مارست بحماس متواصل طريقة اليوغا هذه زهاء الستة شهور بعد  
وفاة كاشي. وذات صباح بينما كنت أسير مع مجموعة من الأصدقاء  
في أحد أقسام سوق كلكتا المزدهم رفعت يدي كالمعتاد، ولأول مرة  
تلقيت استجابة وغمرتني موجة من الفرح عندما شعرت بسعال  
كهربي يتخلل أصابعي وكفي. ثم تحولت هذه التيارات إلى فكر واحد  
جارف، صادر من أعماق وعيي يردد:

"أنا كاشي، أنا كاشي، تعال إليّ!"

وكاد الصوت أن يصبح مسموعاً حينما أصغيت إلى مذياع قلبي.  
وبنفس همسة كاشي المميزة وذات البحة، سمعت نداءه المرة تلو  
الأخرى فأمسكت بذراع بروكاش داس أحد رفاقي وابتسمت قائلاً  
بسرور:

"يبدو لي أنني عرفت مكان كاشي!"

ولدهشة أصدقائي والمارة رحلت أدور حول نفسي، وقد شعرت بالنبض الكهربائي داخل أصابعي فقط عندما كنت أتجه نحو طريق قريب يدعى "الزقاق الثعباني" وهو بالفعل اسم على مسمى! وكانت تلك التيارات الكوكبية تختفي عندما أحول وجهي في اتجاه آخر. وهتفت قائلاً: "لا بد أن روح كاشي تسكن رحم أم يقع منزلها في هذا الزقاق."

ومع اقترابي مع رفاقي من الزقاق الثعباني ازدادت الاهتزازات في يديّ المرفوعتين قوةً ووضوحاً. وكما لو بفعل مغناطيس قوي جُذبت نحو الجانب الأيمن من الطريق. وحينما بلغت منزلاً معيناً ذهلت لأن أجد نفسي متسماً. فطرقت الباب بانفعال كبير وأنا أحبس أنفاسي وقد شعرت أن بحثي الطويل وغير العادي قد كُتب له النجاح في نهاية المطاف.

وفتحت الباب خادمة أخبرتني أن سيدها موجود في المنزل فطلبتُ مقابلته. وقد هبطت السيد من الطابق الثاني وسألني عن حاجتي وهو يتسّم. وبالكاد عرفت كيف أصوغ عباراتي التي كانت في محلها وفي غير محلها في نفس الوقت. سألته:

"أرجو أن تخبرني يا سيدي ما إذا كنت وزوجتك تتوقعان مولوداً منذ ستة شهور."

فأجابني الرجل: "نعم، هذا صحيح." وإذ وجدني ناسكاً مرتدياً الثياب التقليدية البرتغالية اللون أضاف بأدب:

"بالله قل لي كيف تعرف أوضاعي؟"

وحينما أخبرته بقصة كاشي وبالعهد الذي قطعه على نفسي لم يكن أمام الرجل الذاهل سوى تصديق روايتي! وأضفت قائلاً:

"إن مولوداً ذكراً وسيم الخلقة سيولد لكم، وسيكون ذا وجه عريض وله خصلة شعر مرفوعة (لحسة) فوق الجبين، وستكون ميوله روحية بكيفية واضحة." وقد أدركت يقيناً أن الطفل القادم سيحمل كل هذه الأوصاف لكاشي.

فيما بعد زرت الطفل الذي أطلق عليه أبواه اسمه السابق كاشي، وقد كان التماثل عجباً بينه وبين طالب رانشي المحبوب، وأظهر لي الطفل حباً فورياً وقد استيقظت في روحه جاذبية الماضي بقوة مضاعفة.

بعد سنوات من ولادته كتب لي الفتى كاشي أثناء إقامتي في أمريكا  
معبراً عن شوقه العميق في السير على الطريق الروحي، فطلبت منه  
التوجه إلى أحد المعلمين في الهملايا الذي قبل كتلميذ له كاشي الذي  
وُلد من جديد.

المصدر: مذكرات يوجي - السيرة الذاتية

بقلم: برمهسا يوغاندا

ترجمة جديدة منقحة: محمود مسعود